القاتل

من ملحمة علي والحسين

● بولس سلامة*

رافع الصوت داعياً للفلاح ... اخفض الصوت في اذان الصباح
وترفق بصاحب العرش مشـ ... ـغولاً عن الله بالقيان الملاح
ألف «الله اكبر» لا تساوي ... بين كفّي يزيد نهلة راح
تتلظّى في الكأس شعلة خمر ... مثل أجّ اللهيب في المصباح
عنست في الدنان بكراً فلم ... تدنس بلثم ولا بماء قراح
أيها المبكر المؤذن لا تهتف ... وإن شئت فاعتصم بالبحاح
أو بهمس فانطق كهمس الفـ ... ـجر نَديان في سماع الأقاح
إنَّ سمع الخليع وقفٌ على ... صدح المثاني ورنة الأقداح
لا تعكر صفو المليك بذكر ... الله ، فالذكر مأتم الأفراح
فسليب النهى صريع الغواني ... نذر العمر للغرام السفاح
عقله خافق بخفق نهود ... تستحث العشيق في إلحاح
صدىء الصولجان ، لو لم تُقلّبه ، ... للهو ، أكفُّ غيد صباح
تعتع السكر قلبه فإذا ما ... رام أمراً ، أو همَّ بالافصاح
خمد النطق في اللسان ، وغاض ... العقل ، في سورة السلاف الماحي
وصحا من دُواره ذات يوم ... فدعا بالخيول دُهم الوشاح
لا لمجد يريدها أو جهاد ... فمتى كان من غواة الرماح
يؤثر الكأس من بنان كعابٍ ... أم كلثوم ! منهلٌ لانشراح
ناعماً في وسائد من ورودٍ ... مترفاً من عبيرها الفوّاح
بين كأسين من عيون وخمر ... واستلام للعاج والتفاح

** ولد بولس سلامة في قضاء جزين (لبنان) سنة ١٩١٠م وتلقى دروسه الاولى في معهد الاخوة المريميين في صيدا ثم انتقل الى جونية واتم المرحلة الثانوية في معهد الحكمة ثم درس الحقوق في الجامعة اليسوعية فنال اجازتها سنة ١٩٢٦ ، عمل قاضياً سنة ١٩٢٨ وقد أنهكه المرض عام ١٩٤٤ فأحيل على التقاعد ، توفي صباح ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٧٩ ، صدر له : (عيد الرياض) ، و(عيد الغدير) و(عيد الستين) وفي النثر له (مذكرات جريح) و(خبز وملح) وغيرها .

جيء بالخيل للسباق تنزّى ... بينها كل أجرد سبّاح
بَطُرت في مرابط البذخ كسلى ... فتمطّت في سأمة المرتاح
لم تُضَمَّر خصورها لجلادٍ ... لم تُخَضَّب نحورها في الكفاح
أطلقت في عنانها ناشدات ... قصب السبق، أنبل الأرباح
خاب فأل الفرسان تدمي خصور الخيل غمزاً بالمهمز الجرّاح
(فأبو القيس) وهو قرد يزيد ... فضح الخيل وانثنى بنجاح
واستوى فوق سدّة من حرير ... رافلاً في كسائه اللمّاح
فيزيد يكسو القرود حريراً ... واليتامى في غصّة الملتاح
يسترون العري المذلّ بأسمالٍ ... تقيهم من ذلة وافتضاح
فإذا هبّت الرياح شتاء ... تستطير الرقاعُ، نهبَ الرياح
ملأ القصر بالقرود، ولم يهـ ... ـمل كلاباً سخيّة بالنباح
ويزيد يثيرها لهراشٍ ... في مقاصير داره المِمراح
تسحب الوشي والمطارف فالأذ ... ناب خطّت آثارها في السّاح
قاصد القصر ليس يسمع إلا ... عربدات موصولة بصياح
بين قرد مقهقه لشراب ... أو هرير من ناهس نبّاح

* * *

يا ابن هند أبيت إلا يزيداً ... راية للرشاد والاصلاح
ليت عينيك تبصران إمام الهدي، ... هذا، إمام كل إباد
أنت رغم العيوب كالليل جنحاً ... قطرة في هتونه الضحضاح
كنت عبر الرياء تبدي صلاحاً ... وهو حرب على الهدى والصلاح
كنت، قبل الاجرام، تشدو بذكر ... الله، ستراً للكارثات القباح
فإذا مات من تغول بسم ... رحت تبكي بمدمع التمساح
ويزيد من كل فضل تعرّى ... وتباهى بعريه الفضاح
رغم آثامك الجسام ابن هند ... أنت منه كريشة في جناح
ليس يخفى، على المُرقشة ... الأفعى، صفيرٌ من صلها الفحّاح
قد صممت الاذنين عن نصح قوم ... لم يداروك في الخليع الوقاح
دست رأي الحكيم، رأي ابن قيس ... وبسطت الأسماع للمدّاح
يستطيب الضلال من رام شراً ... صادفاً عن نصائح النصّاح
تتحاشى الجفون رمداً مراضاً ... هلّة النور من ضياء صراح
يتبع المرء قلبه في اختلاف ... القول، يخفي مطامح الطمّاح
ساتراً ميله برأي سخيف ... ولو ان المشير سقط سفاح

* * *

يـا ابـن هنـد وقـد حتمت عـلى ... مـروان أخـذ العهـود بـالالحـاح
بيـعـة تطلبـونـهـا أم غـلابـاً ... أعقـوداً أم وثبـة المجتـاح ؟
نبـأ غطّ يثـربـاً في حـداد ... فتنـادى حَمـامُـهـا للنـواح
وتـركت الدنيـا وطرفك مخضـوب ... بجـرم ، فيـا لـعظـم الجنـاح
يا ابن هند قد كان موتك عيداً ... ليـزيـد المخضـوضر المفـراح
فـأثـار الـوليـد يـدعـو لعـرش ... شـاده بـين غـدوة ورواح
فـدعـا بـالحسـين يسلبـه حقـاً ... وحـق الحسـين كـالأصبـاح
شـأنـه شـأن مـن يـؤازر لصـاً ... شـام نهب الـديـار غـير متـاح
صـدّه البـاب من حـديـد صليب ... هـاشمـيّ الصفّـاح والألـواح
فـاتـى يخـدع الـوليّ فـإن ... الكنـز رهـن بحـوزة المفتـاح
ليس ينسى الحسـين يـوم يـزيـد ... سـار للـروم بعـد فـرط جمـاح
يتمنـى اللقـاء نجـلُ عـلي ... ويـزيـدُ يبكـي لـذكـر السـلاح
لا يبـالي (بـالغـرقـدونـة)[1] مـات ... الجيش جوعاً أو تحت بيض الصفاح

* * *

لست تـرضى قـال الحسـين بـأن أختـار سـراً بـل في المكـان البـراح
«فـانتظـرنـي الى غـد ، فـأرى رأيـي ، وأعتـامُ منـهجـي وصـلاحـي»
«قـال مـروان ! لا تجبـه ، ولا تتـرك حسينـاً حـراً طليـق السراح»
«غُـلّ زنـديـه بـالقيـود ، فـإن يـرفض يـزيـداً ، فشفـرة الـذبّـاح»
ويـهـب الحسـين هبّـة ليـث ... وعـلى القـول مثـل لـذع الجـراح
ألمثـلي ذلّ القيـود وجـدّي ... كـوكـب المجـد والتقى والسمـاح
«يخشـع الأفـق لاسمـه إن دعـا ... الداعي وحيًّا على الهـدى والفلاح
أتـراني يـا ابن الطـريـد مهينـاً ... فـأضحـى حمـامـة في الأضـاحي
ولأنت الضئيـل في كفّـة الميـزان ... وغـدُ ، سليـل قـوم شحـاح
ويقـول الـوليـد مـروان أقصر ... كُفّ عن مسمعي سـهـام الـلاحي
هـل نسيـت السبط ابن فـاطمـة ... الزهراء ، نور الدُجى ، وشمس البطاح
بعض مـا في النعيم دفق سنـاهـا ... ورفيـف مـن نـورهـا الـوضـاح
وهي بنت الرسول ، نافذة السلطان ، ... والأمـر في الجنـان الفسـاح
أتـرانـي ألقـى الإلـه خضيبـاً ... بـدم السبط ؟ يـا لثقـل جنـاحي ؟
غضـب الله يستحـرّ فيرديني ... شـويـاً في الـلاهـب الـرحـراح
كيـف ألقى الـرسـول ؟ يفضحـني ... سيفـي صبيغـاً بـدمـه المسمـاح
والـذي يقطـع البحـار جبـالاً ... كيـف يشري عـداوة المـلّاح

---

(١) الغرقدونة : اسم مكان .